Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولقد علمت أن الجاحظ والبديع والخوارزمى فى الكتاب ، وأبانواس وأبانمام وأباالعلاء فى الشعر ، كانوا مضرب المثل فى كثرة القراءة وسعة الحفظ ، وكان « فلوبير » لايقع فى يده كتاب إلا استوعبه ، ولم يعالج « روسو » الكتابة إلا بعد أن حفظ مونتينى وبلوتارك ، و« بوسويه » كان يحمل على ظهر قلبه التوارة وأحاديث الرسل ومواعظ الأحبار . وقد اعترف « شاتوبريان » بأنه كان يدمن قراءة « برنارسان بيير » .

فإذا كان هؤلاء العباقرة قد رأوا أن الاستمرار على دراسة الروائع الأدبية ضرورى لضمان الخلود ، فإنه ولاريب يكون لذوى القرائح الناشئة ضررويا لاستكمال الوجود(١) .

وأرجع الزيات ماتكابد البلاغة ، أو ما يكابد الفن الأدبى الرفيع إلى بلايا ثلاث : أولاها : (السرعة) وهى جناية الآلة على الناس ، وكانت جريرتها على الفكر بوجه أعم أن استحال تقدير القيم التى يحتاج وزنها إلى الروية والتأمل ، أو إلى الأناة والصبر ، فظهر الخبيث فى صورة الطيب ، ودخل الردىء فى حكم الجيد ، وقيس كل عمل بمقياس السرعة لابمقياس الجودة ، وكانت جريرتها على البلاغة بوجه أخص أنها أصابت الأذهان ، فلم تعد تملك الإحاطة بالأطرافِ ، ولا الغوص إلى الأعماق ، فجاء لذلك أكثر إنتاجها من الغثاء الذى لارجع منه ، أو من الزبد الذى لابقاء له . وأصابت الأفهام فلم تعد تصبر على معاناة الجيد من بليغ الكلام ، فكان من ذلك انكبابها على الأدب الخفيف الذى لاغناء فيه ولا وزن له . وأصابت الأذواق فلم تعد تميز الفروق الدقيقة بين الطعوم المختلفة ، واختلط الحلو بالمر ، والتبس الفج بالناضج .

فالكاتب البليغ قد يعجله الحافز الملح عن تعهد كلامه ، فيأتى بالركيك التافه ، وقد تقع السرعة خطأً فى موازين بعض النقاد ، فيحسبونها شرطاً فى حسن الإنتاج ، وربما عابوا الكاتب المروى بالإبطاء ، وغمزوه بالتجويد ! .

وثانيها (الصحافة) وهى تخاطب الجمهور فلا مندوحة لها عن التبذل والتبسط والإسفاف والمط ، مراعاة للموضوعات التى تكتب فيها ، وللطبقات التى تكتب لها ، وللسرعة التى تعمل بها .. من أجل ذلك طغت العامية ، وفشت الركاكة ، وفسد

---

(١) أحمد حسن الزيات (دفاع عن البلاغة) ٣٥ .